بلوغ الأماني

في

مناقب سيدي احمد التجاني

رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به والمسلمين آمين

طبع بإذن من الشيخ

يوسف مضوي

شيخ الطريقة التجانية بواد مدني

على نفقة

السيد مضوي الحاج

صاحب مكتبة مضوي

بواد مدني : سودان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . الحمد لله الذى أضاء الوجود بإظهار بدر سماء الذات المحمدية . فكان فى واسطة فى إيصال السعادة إلى من أرشده الله وهداه . وجعل أفئدة أولياء هذه الأمة الخيرية ناهلة من ينبوع فضله الدافق ونداه . فتفاوتوا فى الذوق والامتلاء والحسبية ، والمراقبة لعظمة جلاله وعلاه . ورفع بعضهم فوق بعض درجات فى القرب واللدنية ، فمنهم من ليس فوقه سوى الصحابة الكرام الهداة . وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة حقية . آمل فى عظيم كرمه إنى بها ألقاه . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ذو الأخلاق المرضية ومختاره من آل عبد مناف ومجتباه صلى الله عليه وعلى آله مصابيح أفق الملة الإيمانية الذين فازوا بالتمتع بمشاهدة نور محياه . وقاموا لنصرة الدين بعده بحسن طوية ، ولم تأخذهم فى الله لومة لائم وأذاه . صلاة وسلاماً يقيان قائلهما الأهوال الدنيوية ، ويكونان له غداً سبباً فى الفوز بالمناجاة .

﴿ وبعد ﴾ : فلما كانت مناقب القطب المكتوم ملاذنا الشيخ

سيدى أحمد التجانى ذى الأسرار الإلهية ، أجل من أن تحصر فى القراطيس بالقلم والدواة ، لعدم معرفة كنه ما أوتى من النفحات العلية والمقامات التى دونها كل منيب أواه ، وهى من أعظم ما به تتنزل الرحمات حيث ما ذكرت صباحا أو عشية .

وبيمن إيرادها على المسامع يتجاوز الله عن العصاة ، أحببت نظم عقد من بعض فرائدها الجوهرية . لئلا تعطل أجياد مجالس الأحباب من التحلى ببديع حلاه ، والحامل على الاختصار تراكم وبل السأم على العراش القلبية . فهو لايخفى على متوسم الوجوه والجباه ، وأطلب من الله الإغاثة فهو المثيب على قدر النية . وما توفيقى إلا بالله .

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

فأقول هو سيدنا وقدوتنا أبو العباس أحمد ذو الشمائل الشذية . مستجمع الذوق بحسه ومعناه ابن محمد الملقب بابن عمر والمنفرد بعلم التفسير والحديث والقواعـــد الفقهية ، والورع والفطنة الوافرة والأشباه . ابن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن أبى العيد بن سالم ابن أحمد الملقب بالعلوانى المحلى بالشيم النقية . ابن أحمد بن على ابن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إسحق ابن زين العابدين العارف بربه وعلاه ابن أحمد بن محمد الملقب بالنفس الزكية ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط

أجود من تهزه الأريحية وأشبـه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصده وانتباه ابن على بن أبى طالب زوج البتول بنت صاحب الرسالة الختمية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ماحن مقترب لمغناه :

نسب منه وجه ذى الكون طرا
قد علاه بلا اشتباه ضياء

ألفت نظمه البديع بحق
قدرة الله حبذا الارتقاء

كيف لا وابتداؤه ذو ارتفاع
بنبى به أزيل العماء

وبذا القطب ذى المقام المفدى
غوثنا قد سما له الانتهاء

صاح أن جزت بالثناء عليه
غاية الحد ليس فيه اعتداء

ألآل الرسول فى الفضل حد
لاومن من نداه هذا الحياء

رضى الله عنه ثم علينا
برضاه ينينا مانشاء

هذا هو النسب الشريف المطهر من الرجس بنص الآيات القرآنية وأين منه الدر المنظوم فى سمط عقده وصفاه :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

ولد رضى الله عنه سنة خمسين بعد المائة والألف من الهجرة النبوية ، ونشأ بين أبويه الطاهرين إلى أن بلغ به منه التميز مناه فأسلمه والده رضى الله عنه للمؤدب لحفظ القرآن وهو ابن سبع

سنين ثم تصدى لتلقى علوم الظاهر بهمة قوية ، فبرع فى جميعها وكل ذلك فى حال صباه ، وأقوى دليل على جودة حفظه وذكاء عقله وتنوير بصيرته الجلية . قوله رضى الله عنه سبقت الطلبة فى حفظ مختصر خليل من باب القضاء إلى آخر المختصر من غير أن أقرأه على أحد أو تلقاه ، ولم أقرأ علم الكلام أيضا على أحد مع أن أهل عصره لم يستطيعوا مجاراته فيه بكيفية .

قال مريده سيدى محمد بن المشرى هذا مما رأيناه . وكانت ولادته بقرية عين ماضى التى شرفت بمولده على البقاع المغربية وحازت السبق بحلول جده الرابع فيها وسكناه . إذ هو أول من نزلها من العصابة الهاشمية وأقام فيها إلى أن لقى الله بما يرضاه فكان عالما ورعا مشددا فى اتباع السنة السنية ، وبتلك القرية ولد له ولده المسمى باسم شيخنا الأبر فما أسماه ، وبها ولد الجد الثانى للشيخ من جمع الله له بين نعم الدنيا الوافرة الأخروية والفضل على أعيان أهل قريته والأشباه . وبها ولد الشيخ أيضا وكان بها أوحد المدرسين أولى الخصوصية ، منقطعا طول ليله إلى الله بالمناجاة ، وكانت تأتيه أحيانا الروحانية ، يراودونه على قضاء حوائجه وما يتمناه ، فيقول لهم دعوا بينى وبين من تكفل بالرزق وتفرد بالبقاء والأزلية ، فإن من توكل على سيده لايكله إلى سواه ، وكان له بيت ذكر فى داره المضيئة بالأنوار الربانيـــة . كما حكاه شيخنا لسيدى على حرازم ورواه :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

ولما شب رضى الله عنه واطلع على بعض من كلام القوم أولى النفوس الأبية . رغبت نفسه فى أحوالهم والوصول إلى مراتبهم وفق ما ألهمه من يعلم سره ونجواه . فارتحل من عين ماضى عام نيف وسبعين بعد المائة والألف إلى مدينة فاس وأحوازها البهية باحثا عما به تعلقت همته الشريفة من الملاقاة بالرجال الثقات . فأول من لاقاه غوث زمانه مولانا الطيب الشهير فى المغرب بالكرامات البدرية . وأذن له فى أوراده والتقديم فى إعطائها للناس لما رآه منه ما رآه . ثم تلاقى مع الكواشى بتازا بعد تركه وأخذ طريقة سيدى عبد القادر وتركها بعد المواظبة عليها مدة عديدة . ثم أتى تونس بعد أن لاقاه بالمغرب من شاء الله له بالملاقاة . ثم توجه إلى مصر فتلاقى بها بالشيخ محمود الكرى فبمجرد رؤيتـــه له قال له أنت محبوب الله فى الدنيا والآخرة فيالها من مزية . وبعد أيام قال له مامطلوبك فقال له القطبانية فقال لك أكثر مما أنت تتمناه .

ثم توجه عام سبعة وثمانين بعد المائة والألف إلى مكة المشرفة المحمية . فكاتبه فيها سيدى أحمد بن عبد الله الهندى واخبره بوفاته وأنه هو وارث أسراره فكان كل مابه فاه .

ثم ارتحل للمدينة المنورة فتلاقى فيها بالشيخ محمد بن عبد الكريم

السمانى الشهير بالأرض الحجازية . وبعد عوده من حجه اجتمع بالشيخ الذى تقدم ذكره آنفاً أنه بمصر لاقاه . فأذن له فى التربية بالطريقة الخلوتية وأمره بإعطائها وأخبره ببعض أمور وما وقع له فى سفره كله من مبدئه إلى أن وافاه .

وفى عام ثمانية وثمانين تلاقى به مريده سيدى حرازم بمدينة تلمسان وفاز برؤية أنواره الحقيقية . وأذن له بالسلوك فى الطريق الخلوتى وأسرار منها ما يذكر وما لايذكر هكذا سيدى محمد بن المشرى ذا القول حكاه . وقال ماكنت أعرف تحقيق مسائل علم الظاهر فضلا عن علوم الباطنية . حتى تفضل الله على بمشاهدته والحمد لله :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

وأما أول ظهور طريقته المقدسة الأحمدية ، وتشعشعها فى القرى والأمصار بكثرة نورها الذى ملأ كل فلاة . فإنه لما ارتحل من تلمسان إلى أبى سمغون والشلالة من البلاد الصحراوية عام ستة وتسعين بعد المائة والألف أطلع الله شمس عرفانه عامه بموضعه الذى هو به فما أسناه ، وبهما التقى به تلميذه سيدى محمد بن المشرى بعد غيبته عنه بعد مدة قدرية . فأخبره ليلة قدومه بما وقع له فى غيبته عنه وما عراه ، وأخبره أنه ترك جميع الطرق التى أخذها عن الأشياخ

المتقدم ذكرهم فسأله عن أسبابه الذاتية . فأجابه بأن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قال له لايصل إليك شيء إلا على يدى فاترك جميع الأولياء فأسره بما إليه ألقاه ، وقال إنه أعطانى طريقة من الأوراد وأمرنى بملازمتها من غير خلوة يقظة لارؤيا منامية . وقال لى الزمها حتى تصل إلى مقامك الذى وعدته وأنت على حالتك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة فما أعظم هذا الجاه . فهى أفضل الطرق لفضل من انتسبت إليه ذى الشفاعة الخصوصية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه . ويشهد لفضلها الثابت من المنن الخفية . ما رواه سيدى محمد بن المشرى أن بعض أهل الفتح من خواص سيدنا رضى الله عنه أخبره أنه وافى بعض مشاهده فرأى فيه جمعاً عظيما من الرسل والملائكة عليهم السلام وأزكى الصلاة . وبعضا من الجن والإنس وقد تقدم صلى الله عليه وسلم يصلى بهم الصلاة الفجرية . فرأى فى الصف الأول سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل ومن له سجدت الملائكة إلا إبليس أبى فكان ذلك سببا فى مشقاه . وفى الصف الثانى رأى الخلفاء الأربعة وقدوتنا أبى العباس التجانى بذاته الصورية . وسمع سيد الوجود يقرأ فى الأولى الفاتحة وسبح وفى الثانية والشمس ويذكر فى سجوده الفاتح لمـــا أغلق التى فضلها أجل من أن يذكر بالأفواه ووعى كالرعد القاصف نزل من السماء بحاسته السمعية . فإذا بسيدنا جبريل ينادى فى الجمع بصوته المسموع أعلاه . ويقول هنيئا لمن دخل طريقة التجانى وكلاما غير

هذه المقالة الملكية . فعنـــد ذلك رأى الخلق من الجن والإنس يزدحمون على شيخنا رضى الله عنه وارضاه :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

أما وردها اللازم الذى لايصح بدونه الانتساب إلى أهل الطريقة التجانية . فله فضل وشروط صحـــة وأركان ووقت مختار ووقت ضرورى تتعين معرفتها على المريد المحقق فى دعواه . فمن فضله الذى لايسمع بغيره فى الطرق الأخروية . ألايذكره أحد وهو صادق فيما أبداه ، إلا ظهرت عليه أحوال أهل الله كلها على قدر قوته وسير المطية . واستعداده وضعفه وارتقاه . وشروط صحته الطهارة من الحدث والخبث فى الجسد والثوب والنية وستر العورة وبر الوالدين وترك الكلام إلى منتهاه . وأركانه ثلاث أولها الاستغفارمائة مرة تحقيقية ، وصيغته اللازمة فيه أستغفر الله فقط لمن تلاه ، ومعناه طلب المغفرة من الله للذنوب قولية وفعلية . وفيه التعويل على رب العالمين سبحانه دون من سواه . ثانيها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بأى صيغة زكية . وكونها بالياقوتة الفريدة وهى صلاة الفاتح أفضل لما حوته من الثناء الجامع فيابشراه . ثالثها لاإله إلا الله مائة مرة عددية . ويقول فى الموفية للمائة سيدنا محمد رسول الله عليه سلام الله . وقد تمت الأركان الطهرية . وعلى المريد ان يتحفظ من اللحن فى كلمة

الإخلاص ويتوقاه بأن يظهر مد لفظ (لا) بقدر مايتحقق فيها معنى النفى ذو السجية . من غير خروج عن القدر المضبوط عند الرواة . ويظهر همزة القطع من لفظ إله وهمزة إلا وتشديد لام الألف الجلية . وتفخم لفظ الجلالة الأعظم مرتب الأركان الثلاثة كما ذكرناه . والوقت المختار لورد الصبح من بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى فاضبطه بفطنة بديهية . والوقت الضرورى من الضحى إلى غروب الشمس والقضاء من وراء ذلك بلا أشباه . والوقت المختار لورد المساء من بعد صلاة العصر إلى العشاء الأخـــيرية . والوقت الضرورى من العشاء إلى طلوع الفجر والقضاء من وراء ذلك هكذا رويناه :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

وأما الوظيفة التى هى عبارة عن العمل المقدر فى طريقتنا الختمية . والموقت باستمرار عمل الشيخ رضى الله عنه إلى الوفاة . فلها أركان أربعة مرتبة خيرية أولها أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم فقط ثلاثين مرة ياذا الانتباه بعد الاستفتاح بفاتحة الكتاب بالبسملة والاستعاذة خير قضية .

ثانيها صلاة الفاتح خمسين مرة فما أعذب نظمها وما أحلاه ، وما أحق قلب المواظب عليها بالفيوضات الغيبية .

ثالثها لا إله إلا الله مائة مرة يقول فى الموفية للمائة سيدنا محمد رسول الله عليه سلام الله .

رابعها : تلاوة جوهرة الكمال اثنتى عشرة مرة وهى من إملاء الحضرة النبوية ، على الشيخ رضى الله عنه يقظة فما أسما هذا السند وأعلاه ، وشرائطها الورد وشرائط تريد عليه بمسألة خصوصية . وهى أن لا تقرأ فيها جوهرة الكمال بالتيمم بل تبدل بعشرين مرة من صلاة الفاتح إلى أن يزول عذر القارىء ويتجافاه . وهذه الوظيفة تقرأ مرة فى كل ليلة ويلزم قضاءها من فاتته خيرات أدائها الجمة . فليحرص المريد على تلاوتها فى جماعة الأحباب ليكون ممن خالف هواه . فمن فضلها المتواتر عن الشيخ عن رسول الله المختار من العصابة الهاشمية . أنها تكفر عن صاحبها جميع ما ارتكبه بين وقتيها مما يستحق العقوبة فكن ممن يعض بالنواجذ على الإتيان بها ويتوخاه . ويندب لقارئها نشر رداء محقق الطهارة الحسية . وإن كانت البقعة طاهرة مبالغة فى تحقيق الطهارة رعيا للأدب المطلوب فى مقامها وحماه . وحضرة يوم الجمعة تلزم لزوما محتما ثبت عن الشيخ رضى الله عنه فيها الكيفية . وهى أن يذكر المريد بعد صلاة العصر من يوم الجمعة إلى الغروب بلا عدد مخصوص لا إله إلا الله . ويشترط فى هذا الذكر الاجتماع والتحليق والجهر لأولى الذكورية وإلا فيذكر وحده إن لم يكن للذاكر فى بلده أشباه ، وإن كان له شغل معتبر أخر الذكر إلى قبل الغروب بنحو نصف ساعة فلكية ثم يذكر إلى الغروب

فيرجع بالفوز الذى لايدرك شأوه ومداه : ولا ينقص عن ألف لا إله إلا الله :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

وأما فضله رضى الله عنه فلا يحد إلى الغائية . فسبحان ذى المنة العريضة من به حباه . فهو سيد المربين وقدوة السالكين فى كل قضية . ولله علاه الأبر ما أوسع حماه . فكم رقى المردية بفوزها ما تراكم وبل المزنة الوسمية . أناسا ليسوا مظنة لإحراز الخير ولاسعاه . لجفاة العوام منهم فى البعد الأبعد عن تلقى الأسرار الحكمية . بوقوع نظرة عليهم صاروا كالذهب المصفى بعد الإشابة بغشه وصداه وأصبحت فيهم قابلية الاعتكاف بتلاوة أوراده المحمية وفى أدنى مدة نشطوا فى عبادة ربهم الذى كون الوجود وسوّاه . وقلت رغبتهم فى العرض الفانى وربما نطق بعضهم بالحكمة البديعية وأشرق ظاهره بنور باطنه قال سيدى الثقة ابن ذى النون هذا وقد شاهدناه ، ومنه من دام على محبته السعدية ، لم يمت إلا وليا قد عمه الجلال وعلاه . ومنه قوله رضى الله عنه أخبرنى سيد الوجود بأنى القطب المكتوم فسئل عن معنى المكتوم فقال هو الذى كتمه الله عن جميع خلقه بالكلية ، إلا سيد الوجود فإنه علم به وبحاله وماحقيقته وأين مثواه ، ولا يستغرب هذا إلا حاسد ومعاند أو ذو عماوات جهلية وإلا فلا

ينكر فضل الكريم الذى يعطى التابع لأجل المتبوع الذى يكون الإذن له إذنا لصاحب التابعية . فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومن كفر فما أغواه :

ثبت الله جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

ومن فضله الذى لا يعلم قدره إلا الله ذو المواهب الخفية قوله رضى الله عنه إذا جمع الله خلقه فى الموقف ينادى مناد ياأهل الموقف هذا إمامكم الذى كان مددكم منه فلا ينفصم إلا وكل سمع ما أبداه ، وأن أفراد الأقطاب والأغواث الفائزين بالمقامات الصديقية يعلمون أن مقام ختمهم يفوق مقامات أكابرهم السراه . فإنه هو سيدهم ويمدهم من ذاته الفيضية ، وإن لم يعلموا عينه حتى ظن بعض الكمل أنه إياه . فما يؤيد أن الختم سيدنا رضى الله عنه ذو النعوت الأحمدية ، والطريق الذى فاز من تمسك بواثق عراه . ماقاله العـــارف بالله الشيخ مختار الكيثى كما فى كتاب الطرائف إن القرن الثانى عشر من هجرة سيد الرسل أولى التقدم والأولية ، يعنى القرن الذى سعد بوجود شيخنا ومرآه يشاكل قرنه صلى الله عليه وسلم من وجوه أوجهية . أحدها أن فيه ختم الأولياء كما أن القرن الأول فيه ختم الأنبياء حبيب الله ومصطفاه . الثانى أن أتباع هذا الولى الختم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والأحوال البذية .

ويجاهدون النفس والهوى والشيطان ويجتنبون الغواة . كما أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يجاهدون الأمم الضالة والأحزاب الشيطانية ، ويغضبون لانتهاك حرمات الله :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

وأما كراماته التي من دونها في الوضوح الأنوار الشمسية . فمنها أن كل بلدة ينزلها يكثر فيها الخير وما والاه ، وقد شهد على هذا أهل كل موضع بالألسن اللغوية . ولهذا كل أحد من أهل الجهات رغب في نزوله رضى الله عنه في وطنه وقراه .

ومن كراماته رضى الله عنه أنه لايسأل عن شيء إلا أجاب بالأجوبة الطبقية ، كأنما بين عينيه لوح ينظر فيه وقد سلم له بهذا كل من آباه ، ومنها ماحكاه سيدى محمد بن المشرى قال أخبرنى حيث كنا فى بلاد الصحراء بقدوم الأمير الظالم ذى المراتع الوخيمية ، وبخراب قرية قبل وقوعها وبقدوم بعض خواص أصحابه فكان كذلك فما أحقه بهذا المدد وما أولاه .

ومن كراماته إجابة دعوته العدلية ، فهى كالعضب الصارم أو كالسهم إذا أحكم مرماه ، ومنها وقايته من الأعداء المقطوع لهم بسوء الخاتمة المقضية مع أنهم كثيرون وكم آبوا بالخذلان أخراس اللهاه .

وأما شمائله الجميلة الحسنية فما أشبهها بشمائل جده صلى الله عليه

وسلم فى حضره ومسراه . ومنها خلقه الحسن والأفعال الحميدة القرشية ، حتى إن كل أحد من جلسائه يعتقد أنه أحب إليه من الآخر لما يرى من إقباله عليه حيث ألفاه . ومنها زهده وحبه لكل ذى خصاصة جهدية ، واحترامه لأهل الفضل وإكرامه لأهل الشرف، ومن العمل بالعلم إلى الله دعاه ، وكان رضى الله عنه يلبس المتسع من الألبسة الثيابية كما يلبس عامة الناس والتمييز نفسه تأباه . وكان رضى الله عنه أبيض اللون مشربا بحمرة معتدل القامة ذا شيبة نورانية ، وصوت جهورى وسمت بهى ومنطق عذب ولسان يعرب عن مراده بأبلغ بيان فوق البليغ أنشاه ، ومما أكرمه الله به إدراك العلوم التى هى أنفع هدية وإحراز أصحابه مراتب الأولياء يوم يبسط الله لعباده سماط قراه . ومنها شفاعته فى أهل عصره وزيادة عشرين سنة بعده من غير حصر أنفس إسلامية ، ودخول الجنة بغير حساب ولا عقاب لمن يوم الجمعة أو يوم الاثنين مع المحبة رآه .

ومن كراماته رضى الله عنه أنه فى يوم السبت الموافق لسبعة عشر يوما مضت من شهر الله المحرم عام ألف ومائتين وتسعة وسبعين من هجرة خير البرية ، فاضت من قبره الشريف عين من اللبن الحليب ومكث ذلك اللبن خارجا من القبر بازدياد مدة زمانية ، حتى اجتمع للأخذ منه جميع الناس بازدحام شديد وتلقاه ، ولم يبق عاقل بمدينة فاس وأجوارها البهية إلا وقد ملأ منه الإناء ، وهو إلى الآن موجود فى بعض الأماكن المغربية ولم يتغير طعمه فما أبهى هذه الكرامة لشيخنا قطب الأقطاب الثقاة :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

وأما بركته فمنها كم صار بعض أصحابه من مشاهير الأولياء أولى الأفضلية . وها أنا أذكر اسم كل منهم حسبما حرره سيدى أحمد الشنجيطى ورواه :

كحب طه المصطفى بن العربى	من نال من مولاه كل الأرب
وكـــديمه الرضـــا على	حرازم ذى المنصب العلى
وكالفقيه العالم ابن المشرى	صاحب شيخنا رفيع الذكر
والتونسى سيدى محمود	صفى شيخنا الكثير الجود
والعلوى وارث التجانى	سيدنا الحافظ ذوى العرفان
وكالشريف ذى المزايا الغالى	والسيد المفضل المفضـال
وغوث عصرنا التماسنى	قطب الورى سيدنا على
والغير ممن درك الولاية	من صحبه وفاز بالعناية
وكم إمام عالم علامـــة	نقادة دراكة فهامة
من ورد شيخنا الإمام قد ورد	حتى تضلع وفاز بالمدد
كترجمان العلم والقرآن	السالك العلامة الودانى
والعلوى حبر شنجيط العلم	الطالب للعلامة البحر الخضم
والتونسى العـــلم الرياح	ذى الجمع بين العلم والصلاح
وغيرهم من علماء السنة	أهل الفضائل وأهل المنة

ممن لا يعلم مقدار ما بلغت بهم الكمية ، وبأى جهة كانوا إلا الله والله ما أعظم منحة منحه بها جـــده الأعظم أكرم الخلق على رب البرية ، المثبتة فى قوله رضى الله عنه لبعض أصحابه الذين هم من ثقات الرواة . أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة تسمى جوهرة الكمال فلعمرى أن مواردها السائغة هنية . من ذكرها اثنتى عشرة مرة وقال هذه هدية منى إليك يارسول الله فكأنما زاره فى روضته الشريفة العطرية وكأنما زار أنبياء الله وأولياءه من أول الوجود إلى وقته الذى هو فيه العدد المذكور وافاه ، وكان انتقال الشيخ رضى الله عنه عن دار الفناء فى صبيحة يوم الخميس لسابع عشرة خلت من شهر شوال سنة ألف ومائتين وثلاثين من الأعداد الإسلامية : وبفاس ضريحه المبارك الذى لم يقف عليه شقى وقد طاب ثراه :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

وأما فضل المتعلقين به الذين سبقت لهم من الله تعالى إلى هذا الخوان الدعية فما أبعده عن الظانين بالله ظن السوء وما أنفاه منه أن آخذى ورده ووالديه وأزواجه وذريته ووالدى أزواجه يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ولا رؤية أحوال هولية . وإن لم يكن لهم تعلق وإنما نالوا هذا الفضل بسبب الآخذ المتمسك بما أوجب تمكينه من بلوغ مناه .

ومنه أن الله تعالى يعطيهم من عمل كل عامل تقبلت حسناته السرية والجهرية ، أكثر من مائة ألف ضعف مما تفضل به على صاحب ذلك العمل وأعطاه ، ومنه أن كل واحد منهم على رأسه تاج من نور مكتوب بين عينيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قلبه مما يلي ظهره محمد بن عبد الله .

ومنه أن كل من لم يحترمهم أو آذاهم طرده الله عن قربه وسلبه منحه المسديه . ومنه أن لهم من الله لطفا خاصا بهم لامدخل لغيرهم فيه وإن ادعاه . ومنه أنهم يجوزون الصراط على كواهل الملائكة فى أسرع من لمحة طرفية . ومنه أن يؤدى الله عنهم تبعاتهم لامن حسناتهم بل من واسع خزائن فضله وعطاه . ومنه أن لهم موضعا فى ظل العرش يكونون فيه وحدهم تمييزا عن أهل العرصات المحشرية ولا يرون محنة من تغميض أعينهم إلى الاستقرار فى عليين ولا حرج على كرم من لا يتصرف فى ملكه حقيقة سواه . فعليهم بتعظيم ساداتنا الأولياء واحترامهم أحياءا وأمواتا فهذا أثرت عن الشيخ رضى الله عنه الوصية لأن الاستخفاف بأقدار أولياء الله من أسباب الطرد والعياذ بالله . وزيارة الأولياء بمعنى قصدهم الاستعداد منهم ممنوع بهذه النية . لما فيه من الالتفات المانع من الانتفاع بالشيخ ونواياه . لأن الانتفاع عن أهل الله مشروط فى حق المريد بربط المحبة إلا بقطع عقبات الإرادات عن غير من تبناه . وأما الزيارة والاشتغال بالاعتبار والتفكر فى أحوال الآخرة

الجزائية . فهى مرغب فيها ومنها زيارة القبور مطلقا فأفهم ما جاء فى طى العبارة ومعناه :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

وما رأيت إلحاقه مناسبا لمناقب شيخنا رضى الله عنه المنزهة عن الأخبار الاحتمالية . قصيدة لولا تضمنها مدحه لما ساغ لى إيرادها على ذوى الأذهان الثقات . لأنها عجالة وقتية . استمطرت بها نواله الذى لم يخب من رجاه :

يارب صل على المختار فى القدم محمد عد نجم الأفق والأكم
أموقف الركب بالإنشاد والنغم
مهلا أسلت عقيقاً أعير النعم
ما بال جسمك محلول العرى وصبا
أم من تقوى من استهواك بالشيم
أم لافتقادك متن الظعن معتسفا
عن ساكن الغور أم عن ساكن الحرم
إنى بشكواك أقوى منك معرفة
أبا لجحود إذا استمسكت لم تلم
ذل الصبابة أهدى ما استدل به على ذويها ولو عزوا بوجدهم

ولست أول من بعد الوصال عفت
منه مشاهد مغنى جيرة العلم

عذراً وقيت غرامى أن لى كبدا
بقوس حاجب ذات الوصلتين رمى

حوراء لا تستطيع الصبر عن زحل
وسلب مهجة ضرغام وسفك دم

أن سولمت لم تدع حظا لجارحة
أو نوزلت حربها تدعو إلى الصمم

لها شيامان ماشدا بهامتها
إلا بكت لوعتى من قلبها الشيم

صحيح طلعتها الحسناء ورثنى
ضعف الفؤاد وضعف الرأى والكلم

أمست بحى سراة دون رائدها
أسد نجوم وبالآجام لم تجم

صددت عنها فلا حتف أراح به
ولا قفول إلى ربع بذى سلم

ما للمعنف وجه فى ملامته
أيدفع الحذر ما باللوح والقلم

ما للزمان ومالى لا يكلفنى
إلا تعرف من إياه لم أرم

ولو تحققت نحو العكس ماسمحت
طباعه لى سوى بالمورد الوخم
يانفس دونك أفعال دلائلها
تبين عن سؤدد الأعراق والهمم
ألم يذدك عن الفانى حقارته
ألم يرعك هجوم الموت فى الأمم
أما علمت بأن الله يعلم ما
تخفى الصدور وما تبديه فاحتشمى
إن العظام الألى قدما علوا شرفا
صاروا رفاتا وصاروا أوحش الرمم
فلتخلعى حلة الإعجاب ولتردى
مناهل الذل والإخلاص والندم
ولتسألى الله إصلاحا ومغفرة
بمن به ينقذ المحتار فى الظلم
خلاصة الفيض مأوى كل صادرة
من الهبات التى من أبدع الحكم
حفيد أشرف رسل الله قاطبة
قطب الخليقة مولى أوفر القسم
رب المقام الذى عن نيل أقربه
يؤخر السابق المبرور فى القسم

ويهتدى لقرى الزلفى بنيرة
ومن به سأل الرحمن لم يضم
الملجأ الأحصن التجانى أحمد من
آيات أسراره تتلى بكل فم
وذو الخوان الذى فيه التطفل لم
يقبح ولم يخش عنده أذى التخم
ففيه فليتنافس كل ذى ثقة
من العزيمة وليحذر من السأم
قرابة الخلد فى عدن محبته
حباه بالفضل هذا بارىء النسم
فقل لمنكر من قامت أدلته
ماضر شمس الضحى إنكار كل عمى
فإن ترد كنه ما أوتى وغايته
الفجر أوضح برهانا على العظم
طوبى لأحبابه فازوا بأربح ما
إليه يحمد سير الأينق الرسم
الله أكبر ما أسمى فضائله
بذكرها كم رأى نفعا أخو ألم
فاسأل محافل من يتلو مناقبه
عن يمنها الغر أو عن طبها العمم

واشهد وجوه مريديه بعين (رضا)
تخال نورا بكل الطرف من أمم
حسبي من الفخر أني قد رضيت بأن
أكون من حزبه ياحيرتي انحسمي
فالحمـــد لله حمدا لاانتهاء له
على عظـــائم ماخولت من نعم
ياواحد الغرب من عين الوجود ويا
من خص بالمدد المستكمل الوسم
لم يترك البين لى صبرا على نوب
يضيق ذرعا بما تبديه كل كمى
تأيى عن الأهل والتذكار قد شغلا
قلبي وطرفي بأضرام ومنسجم
لكن بهمتك العظمى انتميت إلى
علاك فانجاب عنى عارض السقم
لولاك ماسبق هذا الخير أجمعه
إلىَّ حيث ذنوبي فترت هممي
وحيث كنت المسمى باسمك ارتفعت
عنى مخاوف عقبى زلة القدم

هذا يقيني ولم تعرض له شبه
إلا وصيرتها في حيز العدم
ثم الصلاة على المحمود سيدنا
محمد عـــد نجم الأفق والأكم
والآل والصحب سادات الورى وعلى
علاك مولاى في بدء ومختتم

ولما أخذت بعنان اليراع مانعا من السبق في مضمار المناقب التجانية ، خوف الإطالة لعدم حصر مامن الله به على شيخنا ومعرفة حد منتهاه . فلنرفع أكف الضراعة إلى الله مستمطرين من فضل رحمته الأبدية . متوسلين بأعظم الوسائل وبهذا الأستاذ الكامل في رفع مانخافه من النوائب ونخشاه :

ثبت اللهم جمعنا على محبته الزكية
وامنحه رضوانك الأكبر يامولاه

اللهم يا مسبغ النعم الفضلية ، يادافع النقم عن من لايعرف إلا إياه ، يا فارج الغمم الدهمية . يامن لايعجل بالعقوبة على من عصاه . يا حسيب من ظلم ولو في مثقال حبة خردلية ، يامن عطف على المولود أمه وأباه ، يا أول بلا بداية قبلية . ياآخر بلا نهاية تغشاه . نسألك بأسرار كتبك السماوية . والمنزل على رسولك الذى لم تخلق الأفلاك لولاه ، وبحبيبك ســـيد الوجود عين الرحمة الربانية واسطة عقد السؤدد المنتقاة وبنجله ملاذنا سيدى أحمد التجانى.

المحبو منك بأبدع الجمالات الاختيارية ، ومن إذا سألك به سائل أنلته ماتمناه أن تنيلنا يقين المتوكلين عليك توكلا منزها عن الأغراض الشبهية ، وتلطف بنا فى كل حادث هان أو شد عراء ، وأن تجعلنا خائفين منك خوف العالمين بك علما لايغادر فى القلوب وساوس وهمية ، وتوفقنا لما تحب من العمل العزيز ذراه ، وتجعل كيد من رامنا بسوء فى نحره أو من بارزنا بأذية وتمنحنا امتثال ما أمرتنا به واجتناب ماعداه ، وتعم جمعنا هذا بالرحمة السرمدية وتديم عن غيرك غناه ، وأن تبارك لنا فى أرزاقنا وأن تجعل أقواتنا رخية وتسقينا غيثا يشمل قطره كل مغنى للسلمين ورباه وأن تغفر لجامع أفراد هذه المناقب الدرية ، أحمد بن عبد الله أديب العاجز عن القيام بما يوجب قواه . ووالدينا ووالديه وأن تستر عجزنا وعجزه وعيه ، وتمحو عنا وعنه كل ما اقترفه من الذنوب واقترفناه ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم ومن ضمته البقاع الرمسية ، وأن لاتسلط علينا بذنوبنا من لايخافك ولا يرحمنا بسوء ماقضاه ، وأن تمد تشوقات سرائرنا وتطلعات ظواهرنا بنفحات شيخنا الروحانية ولحاته الجسمانية ، وأن تجعله نصب بصائرنا وأمام ظواهرنا يا غوثاه ونعوذ بك من شرور أنفسنا وخسائسها المعنوية والحسية ومن عمل يحزننا بين يديك وبين يدى رسولك صلى الله عليه وسلم يوم لاينفع أخ أخاه . وبين يدى شيخنا الوجيه سيد كافة كل ذى أستاذيه . وعم اللهم برضوانك مقدميه الباذلين فى مرضاتك ومرضاته دنياهم يامن

لاراد لما قضاه . واحفظنا ربنا من الأعداء وسوء القضاء ودرك الشقاء والأدواء العضالية . ومن السلب بعد العطاء إنك على كل شيء قدير يا رباه . اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لمـــا أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم الذى لاتحده الألفاظ القولية . وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين على كل حال يرضاه .

هذا وقد تمت رسالة بلوغ الأمانى فى مناقب شيخنا القطب الربانى سيدى أحمد التجانى الشهير بالعلم المنير رضى الله عنه وأرضاه وهذه النسخة تأليف الشيخ العارف بالله الصفوة الفاضل النحرير الكامل العمدة الزكى الشيخ السيد أحمد أديب المكى رضى الله عنه ونفعنا به والمسلمين آمين ؟

هذه القصيدة للشيخ إبراهيم تليب

يمدح بها شيخه

أرى قطبنا المكتوم فرد العلا حتما
ألم تره أضحى لأهـــل الولا ختما

بدايته كانت نهاية غــــيره
فلله ما أسنى ذراه وما أسمى

توجه مجذوبا غنيا عن السوى
محبا ومحبوبا لدى الحضرة العظمى

ثراه ثريا للرجال فشــــأوه
علا وغلا عن أن يحاط به فهما

جميل محياه البدور وإنمـــا
جليل علاه الشمس تخفى على الأعما

حظائر قدس الله فيها تخصصت
لصحب أبى العبـــاس مرتبة شما

خفى مظهر الأقطاب عند ظهوره
كذلك شمس الظهر تستكتم النجما

درى إنمـــا الجهال تنكر فضله
فأفرغ فى اتباعه السر والعلما

ذراه مكين لايحاط بكنهه
ألم تر أن الفصح عنه غدو بكما

رمى لميادين الشهود بهمه
فأمسى فريدا فى الهموم وفى المرمى

زكى عرف رياه فطاب به الحما
فما مسعد إلا شذا نفحة شما

سرى سرة فى الكائنات وزانه
فكان لها روحا وكانت له جسما

شمائله تقوى وإيثار سنه
وشميته بذل المكارم والرحمى

صفى بين أهل الحان مشروب ورده
فهام به أهل البصائر فى الظلما

ضوى نهجه للسائرين فما ترى
به غير سار لايرى فى السرى وهما

طريقته حمد وشكر ومن يكن
بزمرته لم يلق فى دهره هضما

ظفرنا بكنز الحب فيه واننا
قطعنا بأن السعد فى حبه جزما

عسى ولعل الله يسعدنا به
ويوفى لنا من فيض نائله سهما

غـــدا القلب مشغوفا به وبحبه
ترى ومتى يحظى برؤيته يوما
فما هو إن غنت مطوقه الربى
شجته فأغرته بأنغـــامه الغما
قتيل بحب السيـــد السند الذى
نداه على كل العوالم قد عما
كرامته يربو على الحصر عدها
ومن ذا ترى تحصى الرمال أو النجما
له كل طاغ فى الملوك مذلل
كما أنه النذر اليسير لقد نما
مولاته فرض على كل مسـلم
فويل لمن جافاه فاجترح الاثما
نهى الكل حارت فى جلالة قدره
فدع عنك فى أسراره الكيف والكما
هلموا ألمـوا يا ندامى لقربه
فساحاته بالرحب تشدوا لمن أما
وإياكموا من أن تبيحوا بسره
ولكن عليكم ما استطعتم له الكتما
لأن له عن الإله وكأنه
تناهت لحد لايطاق بأن يسمى

يرجيك إبراهيم ياغاية المنى
شرابا طهورا بعده قط لايظما

عليك رضـــاء الله مالاح بارق
وما انتحبت ورقا وما ابتسمت تسلما

وما انساب فى اتباعك الغر حبيب
من المدد الأصفى من المورد الأسمى

خطها المفتقر إليه
آدم بابكر أحمـــد
بمدنى
